ٱلْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾.

فقيل لهم: ﴿لا تتولوا قومًا﴾ مغضوبًا عليهم ﴿قد يئسوا﴾ من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله ﷺ وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت في التوراة ﴿كما يئس الكفار﴾ من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء. وقيل: ﴿من أصحاب القبور﴾ بيان للكفار أي: كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لأنهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الصف مكية

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾

﴿لِم﴾ هي لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك: بم وفيم ومم وعم وإلام وعلام. وإنما حذفت الألف لأنّ ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرًا في كلام المستفهم. وقد جاء استعمال الأصل قليلاً والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان، ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف، كما سمع ثلاثة أربعة بالهاء وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة. وهذا الكلام يتناول الكذب وإخلاف الموعد. وروي أنّ المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا القتال: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا. فدلهم الله تعالى على الجهاد في سبيله، فولوا يوم أحد، فعيرهم، وقيل: لما أخبر الله بثواب شهداء بدر، قالوا: لئن لقينا قتالاً لنفرغن فيه وسعنا، ففروا يوم أحد ولم يفوا. وقيل: كان الرجل يقول: قتلت ولم يقتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، وصبرت، ولم يصبر، وقيل: كان قد أذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر. فقال عمر لصهيب: أخبر النبي عليه السلام[2] أنك قتلته، فقال: إنما قتلته لله ولرسوله، فقال عمر: يا رسول الله قتله صهيب، قال: «كذلك يا أبا يحيى» قال: نعم. فنزلت في المنتحل، وعن الحسن: نزلت في المنافقين ونداؤهم بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم هذا من أفصح كلام وأبلغه في معناه.

كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾.

قصد في ﴿كبر﴾ التعجب من غير لفظه كقوله: غلت ناب كليب بواؤها ومعنى: التعجب تعظيم الأمر[3] في قلوب السامعين، لأنّ التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله وأسند إلى أن تقولوا: ونصب ﴿مقتًا﴾ على تفسيره دلالة على أنّ قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه، واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه ومنه قيل: نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرًا حتى جعل أشده وأفحشه و﴿عند الله﴾ أبلغ من ذلك لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك، وعن بعض السلف أنه قيل له: حدثنا. فسكت، ثم قيل له: حدثنا، فقال: تأمرونني أن أقول ما لا أفعل.

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾.

فاستعجل مقت الله في قوله: ﴿إنّ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله﴾ عقيب ذكر مقت المخلف[4] دليل على أنّ المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا، وقرأ زيد بن علي: يقاتلون بفتح التاء. وقرئ: يقتلون ﴿صفًا﴾ صافين أنفسهم أو مصفوفين ﴿كانهم﴾ في تراصهم من غير فرجة ولا خلل. ﴿بنيان﴾ رص بعضه إلى بعض مرصف، وقيل: يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص، وعن بعضهم: فيه دليل على فضل القتال راجلاً لأنّ الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة، وقوله: صفًا كانهم بنيان حالان متداخلتان[5].

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا

---

(1) الثعلبي ابن مردويه الواحدي في تفاسيرهم، زيلعي 3/465.

(2) الثعلبي في تفسيره الزيلعي 4/7.

(3) قال أحمد: وزائد على هذه الوجوه الأربعة وجه خامس، وهو تكراره لقوله: ﴿ما لا تفعلون﴾ وهو لفظ واحد في كلام واحد، ومن فوائد التكرار التهويل والإعظام، وإلا فقد كان الكلام مستقلاً لو قيل: ﴿كبر مقتاً عند الله﴾ ذلك فما إعادته إلا لمكان هذه الفائدة الثانية، والله أعلم.

(4) قال أحمد: صدق والأوّل كالبسطة العامة لهذه القصة الخاصة، كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله، واتقوا الله إنّ الله سميع عليم، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا = أصواتكم فوق صوت النبي﴾ فالنهي العام ورد أوّلاً، والمقصود اندراج هذا الخاص فيه، كما تقول للمقترف جرماً معيناً: لا تفعل ما يلصق العار بك، ولا تشاتم زيداً، وفائدة مثل هذا النظم النهي عن الشيء الواحد مرتين، مندرجاً في العموم ومفرداً بالخصوص، وهو أولى من النهي عنه على الخصوص مرتين، فإنّ ذلك معدود في حيز التكرار، وهذا يتكرر مع ما في التعميم من التعظيم والتهويل، والله أعلم.

(5) قال أحمد: يريد أنّ معنى الأولى مشتمل على معنى الثانية، لأنّ التراص هيئة للإصطفاف، والله أعلم.

يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾.

﴿وإذ﴾ منصوب بإضمار انكر أو وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا ﴿تؤذونني﴾ كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه في نفسه، وجحود آياته، وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه، وعبادتهم البقر، وطلبهم رؤية الله جهرة، والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه ﴿وقد تعلمون﴾ في موضع الحال أي: تؤذونني عالمين[1] علمًا يقينًا ﴿أني رسول الله إليكم﴾ وقضية علمكم بذلك وموجبة تعظيمي وتوقيري، لا أن تؤذوني وتستهينوا بي؛ لأنّ من عرف الله وعظمته عظم رسوله علمًا بأن تعظيمه في تعظيم رسوله، ولأن من آذاه كان وعيد الله لاحقًا به ﴿فلما زاغوا﴾ عن الحق ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ بأن منع ألطافه عنهم ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ لا يلطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف.

فإن قُلْتَ: ما معنى قد في قوله: ﴿وقد تعلمون﴾؟ قُلْتُ: معناه التوكيد كأنه قال: وتعلمون علمًا يقينًا لا شبهة لكم فيه. قيل: إنما قال: يا بني إسرائيل، ولم يقل: يا قوم كما قال: موسى لأنه لا نسب له فيهم[2] فيكونوا قومه والمعنى: أرسلت إليكم في حال تصديقي ما تقدمني.

إِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾.

﴿من التوراة﴾ وفي حال تبشيري ﴿برسول ياتي من بعدي﴾ يعني: أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعًا ممن تقدّم وتأخر وقرئ: ﴿من بعديْ﴾ بسكون الياء وفتحها. والخليل وسيبويه يختار أن الفتح، وعن كعب أنّ الحواريين قالوا لعيسى: يا روح الله هل بعدنا من أمّة؟ قال: نعم أمّة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء، يرضون من الله باليسير من الرزق، ويرضى الله منهم باليسير من العمل.

فإن قُلْتَ: بم انتصب مصدقًا ومبشرًا بما في الرسول من معنى الإرسال أم بإليكم؟ قُلْتُ: بل بمعنى الإرسال، لأن إليكم صلة للرسول فلا يجوز أن تعمل شيئًا، لأنّ حروف الجرّ لا تعمل بأنفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل، فإذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن أين تعمل. وقرئ: هذا ساحر مبين، وأي الناس أشدّ ظلمًا ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين، فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله: لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق: هذا سحر، لأنّ السحر كذب وتمويه. وقرأ طلحة بن مصرف: وهو يدّعي، بمعنى: يدعي دعاه وادّعاه نحو لمسه والتمسه، وعنه: يدّعي بمعنى يدعو وهو الله عز وجل.

يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾.

أصله يريدون أن يطفؤا كما جاء في سورة براءة، وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيدًا له لما فيها من معنى الإرادة في قولك: جئتك لإكرامك. كما زيدت اللام في لا أبالك تأكيدًا لمعنى الإضافة في لا أباك. وإطفاء نور الله بأفواههم تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم: في القرآن: هذا سحر، مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه.

﴿والله متمّ نوره﴾ أي: متمّ الحق ومبلغه غايته. وقرئ بالإضافة.

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾.

﴿ودين الحق﴾ الملة الحنيفية ﴿ليظهره﴾ ليعليه ﴿على الدين كله﴾ على جميع الأديان المخالفة له، ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام، وعن مجاهد: إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض إلا دين الإسلام، وقرئ: أرسل نبيه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾.

﴿تنجيكم﴾ قرئ مخففًا ومثقلاً.

---

(1) قال أحمد: أهل العربية تقول: إن قد تصحب الماضي لتقريبه من الحال، ومنه قول المؤذن: قد قامت الصلاة، وتشتمل المصاحبة للماضي أيضاً على معنى التوقع، فلذلك قال سيبويه: قد فعل جواب لما يفعل، وقال الخليل: هذا الخبر لقوم ينتظرونه، وأما مع المضارع فإنها تفيد التقليل، مثل: ربما كقولهم: إنّ الكذوب قد يصدق، فإذا كان معناها مع المضارع التقليل، قد دخلت في الآية على مضارع، فالوجه والله أعلم أن يكون هذا من الكلام الذي يقصدون به الإفراط فيما ينعكس عنه، وتكون قد في هذا المعنى نظير ربما في قوله: ﴿ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ فإنها في هذا الموضع أبلغ من كم في التكثير، فلما أوردت ربما في التكثير على عكس معناه الأصلي في التقليل، فكذلك إيراد قد ههنا لتكثير علمهم، أي: تحقيق تأكيده على عكس معناها الأصلي = في تقليل الأصل وعليه:

قد أترك القرن مصفراً أنامله

وإنما مدح نفسه بكثرة هذا الفعل منه عكس ديدنه الأصلي، ولا يقال: أن حملها في الآية على التكثير متعذر؛ لأنّ العلم معلوم التعلق لا يتكثر ولا يتقلل؛ لانا نقول يعبر عن تمكن الفعل وتحققه وتأكده وبلوغه الغاية في نوعه، بما يعبر به عن التكثير، وهو تعبير صحيح، ألا ترى أن قوله: ﴿ربما يودّ الذين كفروا﴾ وهو من هذا القبيل، فإن المراد شدّة ودّهم لذلك وبلوغه أقصى منتهاه لا غير، والله الموفق.

(2) قال أحمد: وهذا نظير قوله تعالى: ﴿إذ قال لهم شعيب﴾؛ لأنّ شعيباً لم يكن من قوم من أرسل إليهم.

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾.

و﴿تؤمنون﴾ استئناف كأنهم قاما كيف نعمل؟ فقال: تؤمنون[1]، وهو خبر في معنى الأمر ولهذا أجيب بقوله: ﴿يغفر لكم﴾ وتدل عليه قراءة ابن مسعود: آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا.

فإن قُلْتَ: لم جيء به على لفظ الخبر؟ **قُلْتُ:** للإيذان بوجوب الامتثال، وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين، ونظيره قول الداعي: غفر الله لك، ويغفر الله لك، جعلت المغفرة لقوّة الرجاء كأنها كانت ووجدت.

فإن قُلْتَ: هل لقول الفراء أنه جواب هل أدلكم وجه؟ **قُلْتُ:** وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة، والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد، فكأنه قيل: هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم.

فإن قُلْتَ: فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما: تؤمنوا وتجاهدوا؟ **قُلْتُ:** وجهها أن تكون على إضمار لام الأمر كقوله:

محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا

وعن ابن عباس أنهم قالوا: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فنزلت هذه الآية. فمكثوا ما شاء الله يقولون: ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله: ﴿تؤمنون﴾. وهذا دليل على أن تؤمنون كلام مستأنف وعلى أنّ الأمر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها إليه أوقع فيها وأقرب من قولها له مما فوجئت به ﴿ذلكم﴾ يعني: ما ذكر من الإيمان والجهاد ﴿خير لكم﴾ من أموالكم وأنفسكم.

فإن قُلْتَ: ما معنى قوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾؟ **قُلْتُ:** معناه إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرًا لكم[2] حينئذٍ، لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون.

وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾.

﴿ولأخرى تحبونها﴾ ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم ثم فسرها بقوله: ﴿نصر من الله وفتح قريب﴾ أي: عاجل وهو فتح مكة، وقال الحسن: فتح فارس والروم. وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل.

فإن قُلْتَ: علام عطف قوله: ﴿وبشّر المؤمنين﴾؟ **قُلْتُ:** على تؤمنون لأنه في معنى الأمر كأنه قيل: آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم، وبشّر يا رسول الله المؤمنين بذلك.

فإن قُلْتَ: لم نصب من قرأ نصرًا من الله وفتحًا قريبًا! **قُلْتُ:** يجوز أن ينصب على الاختصاص أو على تنصرون نصرًا ويفتح لكم فتحًا، أو على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم أخرى نصرًا من الله وفتحًا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى اللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾.

قرئ: كونوا أنصار الله وأنصار الله. وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله وفيه زيادة حتم للنصرة عليهم.

فإن قُلْتَ: ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارًا[3] بقول عيسى صلوات الله عليه: ﴿من أنصاري إلى الله﴾! **قُلْتُ:** التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد: كونوا أنصارًا لله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم: من أنصاري إلى الله.

فإن قُلْتَ: ما معنى قوله: من أنصاري إلى الله؟ **قُلْتُ:** يجب أن يكون معناه مطابقًا لجواب الحواريين.

﴿نحن أنصار الله﴾ والذي يطابقه أن يكون المعنى: من جندي متوجهًا إلى نصرة الله وإضافة أنصاري خلاف إضافة أنصار الله، فإنّ معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله، ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله، ولا يصح أن

---

(1) قال أحمد: إنما وجه إعراب الفراء بما ذكر؛ لأنه لو جعله جواباً لقوله: ﴿هل أدلكم﴾ فإنكم إن أدلكم على كذا وكذا أغفر لكم، فتكون المغفرة حينئذ مترتبة على مجرّد دلالته إياهم على الخير وليس كذلك إنما تترتب المغفرة على فعلهم لما دلهم عليه لا على نفس الدلالة، فلذلك أوّل ﴿هل أدلكم على تجارة﴾ بتأويل: هل تتجرون بالإيمان والجهاد حتى تكون المغفرة مترتبة على فعل الإيمان والجهاد لا على الدلالة، وهذا التأويل غير محتاج إليه، فإنّ حاصل الكلام إذا صار إلى هل أدلكم، أغفر لكم التحق ذلك بأمثال قوله تعالى: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ فإنه رتب فعل الصلاة على الأمر بها، حتى كأنه قال: فإنك إن تقل لهم أقيموا يقيموها. وللقائل أن يقول: قد قيل لبعضهم: أتم الصلاة فتركها، فالجواب عنه: أن الأمر الموجه على المؤمن الراسخ في الإيمان لما كان مظنة لحصول الامتثال، جعل كالمحقق وقوعه= = مرتباً عليه، وكذلك ههنا لما كانت دلالة الذين آمنوا على فعل الخير مظنة لامتثالهم، وامتثالهم سبباً في المغفرة محققاً عوامل معاملة تحقيق الامتثال والمغفرة مرتبين على الدلالة، والله أعلم.

(2) قال أحمد: كأنه يجري الشرط على حقيقته وليس بالظاهر؛ لأن علمهم لذلك محقق، إذ الخطاب مع المؤمنين والظاهر أنه من وادي قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي م الربا إن كنتم مؤمنين﴾ والمقصود بهذا الشرط: التنبيه على المعنى الذي يقتضي الامتثال وإلهاب الحمية للطاعة، كما تقول لمن تأمره بالانتصاف من عدوه: إن كنت حراً فانتصر، تريد أن تثير منه حمية الانتصار لا غير، والله أعلم.

(3) قال أحمد: كلام حسن وتمام على الذي أحسن أن يميز بين الاضافتين المذكورتين، بأنّ الأولى محضة والثانية غير محضة فتنبه لها، والله الموفق.

يكون معناه من ينصرني مع الله لأنه لا يطابق الجواب. والدليل عليه قراءة من قرأ من أنصار الله والحواريون أصفياؤه وهم أوّل من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً. وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص، والحوّاري الدرمك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: الزبير ابن عمتي وحواريي من أمتي[1] وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها. ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل. ﴿فآمنت طائفة﴾ منهم بعيسى ﴿وكفرت﴾ به ﴿طائفة فأيّدنا﴾ مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم، وعن زيد بن علي كان ظهورهم بالحجة. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الصف[2] كان عيسى مصليًا عليه مستغفرًا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الجمعة مدنية

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

قرئت صفات الله عزّ وعلا بالرفع على المدح. كأنه قيل: هو الملك القدوس، ولو قرئت منصوبة لكان وجهًا كقول العرب: الحمد لله أهل الحمد. الأمي منسوب إلى أمّة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الأمم، وقيل: بدأت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة، وأهل الحيرة من أهل الأنبار.

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾

ومعنى: ﴿بعث في الأميين رسولاً منهم﴾ بعث رجلاً أميًا في قوم أميين كما جاء في حديث شعياء: أني أبعث أعمى من عميان وأمّيًا في أميين[3]. وقيل: منهم كقوله تعالى: من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله، وقرئ في الأميين بحذف ياءي النسب ﴿يتلوا عليهم آياته﴾ يقرؤها عليهم مع كونه أميًا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة أمي بغير تعلم آية بينة ﴿ويزكيهم﴾ ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ القرآن والسنّة. وإن في ﴿وإن كانوا﴾ هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أي: كانوا في ضلال لا ترى ضلالاً أعظم منه.

وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾.

﴿وآخرين﴾ مجرور عطف على الأميين يعني: أنه بعثه في الأميين الذين على عهده وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم، وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم. وقيل: لما نزلت قيل: من هم يا رسول الله؟ فوضع يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء». وقيل: هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم القيامة. ويجوز أن ينتصب عطفًا على المنصوب في ويعلمهم أي: يعلمهم ويعلم آخرين، لأنّ التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندًا إلى أوّله، فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه. ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ في تمكينه رجلاً أميًا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره إياه من بين كافة البشر.

ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾.

﴿ذلك﴾ الفضل الذي أعطاه محمدًا وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر هو ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ إعطاءه وتقتضيه حكمته.

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾.

شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقرّاؤها وحفاظ ما فيها ثم أنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها، وذلك أنّ فيها نعت رسول الله ﷺ والبشارة به، ولم يؤمنوا به بالحمار حمل أسفارًا أي: كتبًا كبارًا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب، وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل. ﴿بئس﴾ مثلاً.

﴿مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوّة محمد ﷺ. ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها. ثم لم يحملوها، ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها. وقرئ: حملوا التوراة أي: حملوها، ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل. وقرئ: يحمل الأسفار.

فإن قُلْتَ: يحمل ما محله؟ **قُلْتُ:** النصب على الحال أو الجر على الوصف، لأن الحمار كاللئيم في قوله: ولقد أمر على اللئيم يسبني. هاد يهود إذا تهود.

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ

(1) النسائي في سننه الكبرى كتاب المناقبين زيلعي 4/7.

(2) الثعلبي والواحدي وابن مردويه زيلعي 4/8.

(3) قال الزيلعي لم أجده إلا من قول وهب بن منبه رواه الحافظ أبو نعيم في دلائل النبوة 4/11.